وان المعلومات التي حازها القدما في خصوص الكرة المعمورة كانت تحت حد وحصر فانه
في اوروبا كانت الاقاليم الواسعة الموجودة في القسم الشرقي من جرمانيا معروفة قليلا
لهم وكانوا على غير دراية من الاراضي الواسعة والممالك الشاسعة الخاضعة الان لممالك
دانيمارقة واسويج وبروسيا وبولنده والمملكة الروسية وكانت الاقاليم المختلفة الموجودة
جودة في داخل منطقة بحر الثلج الشمالي غير معروفة بالكلية وما بلغ التجول في افريقية
زيادة عن حدود الاقاليم الموجودة على سواحل البحر الابيض المتوسط والاقاليم الغربية الموجودة
على ساحل البحر الاحمر وكذا ما كان لهم دراية ولا خبرة بالاقاليم الخصبة العظيمة الواقعة خلف
نهر الكنج الخارج منها كافة الايرادات الغالية والتحايف الثمينة التي صارت في الازمان
المتاخرة عرضا اصليا في تجارة اوروبا مع الهند ولا تجولوا في الاقاليم الواسعة المسكونة
بالقبايل الرحالة المعروفة باسم الشرقاطيا بنين او السيطيين او ياجوج وماجوج
والمعروفة الان بالاقاليم التتارية الخاضعة والحالة هذه للدولة الروسية ومع عدم معلوميتهم
بذلك فانهم كانوا على فكر وتصور من معلوميتهم بشي مختص بهيئة الكرة الارضية وذلك
انهم تصوروا ان الكرة مقسومة الى خمسة اقاليم اطلقوا عليها اسم مناطق اثنان منها
في جهة القطبين وهما المنطقتان الاشد برودة ويعتقدون انه بسبب تسلط شدة
البرودة القاصعة على الدوام في هاتين المنطقتين لا يمكن لبني الانسان الحياة في داخلها
والمنطقة الثالثة تحت خط الاستوا وهي المنطقة الاشد حرارة ويعتقدون انه بسبب شدة
تسلط الحرارة والسخونة فيها لا يكون للانسان طاقة على السكن والعيشة فيها واما
المنطقتان الاخيرتان فاطلقوا عليهما اسم منطقتي الاعتدال وعرفوا جيدا انهما قابلتا
السكنى فيهما للنوع الانساني وكان هذا التصور معروفا عند ارباب العقول من الفلاسفة
لا غيرهم من القدما وكان لهولاء الفلاسفة خبرة بدقايق التاريخ والجغرافية في الاغريق
والروم وعلى موجب هذا التصور جزم الفلاسفة بوجود قسم شاسع من المسكونة موافق
لسكنى النوع الانساني واما الاقاليم الخصبة المعمورة الداخلة في حدود المنطقة الحارة
المعروفة الان بكونها لا تكسب اهلها ما عليه مدار حياتهم ورفاهيتهم فقط بل ويرسلون ما
يؤخذ منها الى باقي الكرة فانها كانت معروفة عندهم بانها اراضي قفرة ومفازات
حفرة محلة عديمة الخصوبة والسكنى ومن حيث ان كافة اقسام الارض التي كانت معروفة
عند القدما محصورة في داخل المنطقة المعتدلة الشمالية فكانت الفلاسفة على راي واحد من ان
المنطقة المعتدلة الجنوبية الاخرى مسكونة بسكان ما اطلع عليهم احد وكانوا على اعتقاد
ان شدة درجة الحرارة المتسلطة في المنطقة الاعتدالية الموجودة بين الاقليمين المعتدلين
من المسكونة هي المانع الاكبر في عدم المواصلة والمعاملة بين سكان الارض وبعضها
حتى جعلوا كافة الاجتهادات والمساعي في فتح طرق مواصلات مع الاقاليم القاصية من
الكرة مستحيل العمل بالكلية ومع ما كان من عدم تمام ووفرة المعلومات في القواعد
الجغرافية التي حازها الجريقيين والرومانيين فانهم لاجل تحسينهم هذا الفن سلكوا
في طريق تقدم الاستكشافات بواسطة فن الملاحة والتجارة على قدر حالتهم التي
كانوا عليها وفي اثنا ما كانت المملكة الرومانية حريصة على عزمها في هذا الموضوع
من اجل اثبات سلطتها ونفوذ شوكتها في الاراضي والجهات التي تغلبت عليها وحفظ
انحار سكانها بعضها ظهرت نتايج عزيزة واشغال جسيمة تختص بتخصيص ووصف الاراضي
والجهات المركب منها تلك المملكة الواسعة حتى انه لما اخذت العلوم في الاضمحلال
اخذ فن الجغرافية بالعكس في الترقي وعلو الدرجة باستكشافات وتحويصات جديدة
في كل عصر ووصلت اليه تقارير كل سياح حتى صار في درجة تحسين كاملة وابرز
دقايق نتايج التي كان عليها في الدنيا القديمة الفيلسوف البارع والالمعي الزكي
بطليموس المشهور ببراعة اعماله وحذاقة اتقان اشغاله فان هذا الفيلسوف الجليل
الذكر ازهر طالعه في القرن الثاني من التاريخ المسيحي ونشر كتابا في وصف الكرة
الارضية ادق واجل من كل شغل من اشغال سالفيه ثم من بعد قليل ابتدات العواصف
الشديدة والسحب الكثيفة والزوابع العنيدة في رج واهتزاز المملكة الرومانية وتولد



وتولد من حرص قسطنطين وشدة طمعه وشوقه في تغييره مقر مركز السلطنة
الرومانية تقسيمها وضعف قوتها وابتدات الامم المتبربرة التي امدها القادر سبحانه
وتعالى الى لدمار وخراب هذه المملكة الكبيرة الشديدة في تحشيد جيوشها على اطراف حدودها
وصارت المملكة الرومانية على شرف السقوط وفي مدة اضمحلال المملكة الرومانية وهروب
وتشتيت حينئذ صار من المستحيل حصول التهذيب في العلوم والترقي والتحسين في الفنون
وعجزت العقول الزكية واهل البراعة العلمية كما حصل الضعف والعجز في الحكومة الرومانية
ويظهر انه من زمن بطليموس ما حصلوا الى اضافة شي من المعلومات على المعلومات القديمة
لفن الجغرافية ولا حصلوا الى سعي في قيام الدرجة السعيدة لفن التجارة والملاحة الا انه
كان في القسطنطينية فقط لانه بسبب عظيم موقعها وتقوية امر طرقات الشرق لامرها
صارت مدينة تجارية من الدرجة الاولى ثم الامر ان تراكم السحب التي كانت اخذت في التجمع
حول المملكة الرومانية الى ان انفجرت في عاصفة شديدة واقتحم الامم المتبربرة داخل المملكة
الرومانية من كل جهة من جهاتها بقوى لا تقهر وفي اثنا الغرق العام الذي تولد من هذا
السطو فانه في اوروبا انقرضت الفنون والعلوم والصنايع والاختراعات وما اجراه
الجريق والرومانيون من الاستكشافات وخفيت بالكلية وصارت كافة القبايل والعشاير
المختلفة التي سكنت في اوروبا في كافة الاقاليم المختلفة من المملكة الرومانية على غير تمدن
وحضارة ولا دراية لهم بقراة وكتابة ولا صنايع ولا معارف ولا يعرفون قانونا ولا
حكومة منتظمة وكانت اخلاقهم وعوايدهم في غاية من الخشونة والهمجية وما كان لهم دراية
بشي بعد عن التالف والعمران ومن ثم اقول ان اوروبا معظم ما سكنها مثل هولاء السكان
التي عادت الى درجة طفوليتها الثانية وشرعت من جديد في تحسين العلوم وترقي الحضارة
وكان اول شغل اجراه هولاء الغايرين ابطال انحار التالف الذي جمعت فيه الدولة
الرومانية سكان ممالكها في جامعة واحدة وقسم هولاء الامم اراضي اوروبا الى ممالك
صغيرة مستقلة مخالفة لبعضها في اللهجة والعوايد وصار لا يوجد ارتباط وعلاقات بين
اهم تلك الممالك سوى العداوة والبغضا وجعلوا لانفسهم قوانين وعوايد جعلت دخول
كل غريب في ممالكهم على خطر شديد وعجزت العلاقات التجارية بين المداين وبعضها وضعف
حالها من بعد ما كانت زاهرة زاهية وحرمت من المشروعات والاعمال التي كانت معدة
لنشر التجارة والسعادة بينها وتلاشى وجود العلوم التي كان تاسس عليها فن الجغرافية والملاحة
وتركت الممارسات التي كان عليها الا بقيت في تحسين الاستكشافات والعلوم التي دونها
الجريق والرومانيون بسبب عدم ظهورها في ذاك الوقت وضاعت المعلومات في شان الاقاليم
القاصية حتى صارت مواقعها وتجاراتها واسماها غير معروفة وما بقي في اوروبا الا
حالة واحدة متنعشة من عدم انقطاع المعاملات التجارية مع الامم البعيدة وذلك ان القسطنطينية
والواقع كانت مهددة مرعوبة من شدة الغايرين الذين نشروا الخراب والدمار في كافة
انحا اوروبا فانها من طالع سعادتها سلمت بتفرعها عن هذا العطب المهول وكان محفوظ
في داخل اسوار هذه المدينة بقايا الفنون القديمة وقضايا الاستكشافات وكانت في عيشة
رغدة وفي حاجة من طلب محصولات وتحايف الممالك الاجنبية ومن ثم استمرت التجارة في
رواجها في تلك الجهة عندما انقرضت من كافة جهات اوروبا تقريبا الا ان اهل
القسطنطينية على ما اقتصرت في تجاراتهم مع جزاير بحر الارخبيل والسواحل المجاورة
لهم من بلاد اسيا فقط بل سلكوا في مشروع اوسع وتتبعوا ما كان عليه القدما وجلبوا
في داخل مدينتهم تجارة الهند والشرقية بواسطة مدينة اسكندرية ولما انفصلت مصر من
المملكة الرومانية بواسطة تغلب الاسلام عليها التمس الجريق طريقا جديدا امكن منه وصول
التجارات الهندية الى القسطنطينية من دون واسطة اسكندرية وشرعوا في جلب هذه التجارات
في نهر السند الى حد ما يمكن الوصول اليه من ملاحة هذا النهر والسير فيه ثم نقلها من هذا النهر
من طريق البر الى شواطي نهر سيحون ثم يسيرونه بها في نهر سيحون حتى يوصلوها الى بحر الخزر
ثم ينقلونها من طريق البر الى نهر ولغا ثم منه الى نهر طينيس حتى يوصلونها الى البحر الاسود

Copyright © King Saud University